

البداية والنهاية

خطيبهم زهير بن مرد فقال يا رسول الله إن ما في الحظائر من السبايا خالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك فلو أنا ملحنا (1) ابن أبي شمر أو النعمان بن المنذر ثم أصابنا منهما مثل الذي أصابنا منك رجونا عائدتهما وعطفهما وأنت خير المكفولين ثم أنشد ...

أمنن علينا رسول الله في كرم ... فإنك المرء نرجوه وندخر ... أمنن على بيضة قد عاقها قدر ... ممزق شملها في دهرها غير ... أبقت لنا الدهر هتافا على حزن ... على قلوبهم الغماء والغمر ... إن لم تداركها نعماء تنشرها ... يا أرجح الناس حلما حين يختبر ... أمنن على نسوة قد كنت ترضعها ... إذ فوك يملؤه من محضها درر ... أمنن على نسوة قد كنت ترضعها ... وإذ يزيناك ما تأتي وما تذر ... لا تجعلنا كمن شالت نعماته ... واستبق منا فانا معشر زهر ... إنا لنشكر للنعمى وإن كفرت ... وعندنا بعد هذا اليوم مدخر ...

وقد رويت هذه القصة من طريق عبيد الله بن رماحس الكلبي الرملي عن زياد بن طارق الجشمي عن أبي مرد زهير بن جزل وكان رئيس قومه قال لما أسرنا رسول الله A يوم حنين فبينا هو يميز بين الرجال والنساء وثبت حتى قعدت بين يديه وأسمعته شعرا أذكره حين شب ونشأ في هوازن حيث أضعوه ... أمنن علينا رسول الله في دعة ... فإنك المرء نرجوه وننتظر ... أمنن على بيضة قد عاقها قدر ... ممزق شملها في دهرها غير ... أبقت لنا الحرب هتافا على حزن ... على قلوبهم الغماء والغمر ... إن لم تداركها نعماء تنشرها ... يا أرجح الناس حلما حين يختبر ... أمنن على نسوة قد كنت ترضعها ... إذ فوك تملؤه من محضها الدرر ... إذ أنت طفل صغير كنت ترضعها ... وإذ يزيناك ما تأتي وما تذر ... لا تجعلنا كمن شالت نعماته ... واستبق منا فانا معشر زهر ... إنا لنشكر للنعمى وإن كفرت ... وعندنا بعد هذا اليوم مدخر ... فألبس العفو من قد كنت ترضعه ... من أمهاتك إن العفو مشتهر ... إنا نؤمل عفو منك تلبسه ... هذي البرية إذ تعفو وتنتصر ... فاغفر عفا الله عما أنت راهبه ... يوم القيامة إذ يهدي لك الطفر